

Simon M. Halama

Eisenzeitliche Paläste in der nördlichen Levante

Repräsentation von Herrschaft mit architektonischen Mitteln

Münchener Abhandlungen zum Alten Orient 2

Gladbeck: PeWe-Verlag 2018

ملخص

قصور عصر الحديد في المشرق الشمالي: تمثيل الحكم من خلال العمارة

ملخص

بوابية وكسوة حجرية منقوشة على الجدران. يضيف هذا الرواق المعمد انطباعاً بالانفتاح للناظرين، لكنه في الوقت عينه، كان ويفضل التحصينات ومجموعة الطرق الموصلة، غير المحورية، مستتراً بالنسبة للقادمين من الخارج، بالتالي فإن المحاور السهلة التي تؤدي إلى الملك والمشمولين معه بالأعمال الحكومية، التي يوفرها هذا النمط من العمارة، كانت تقتصر على قلة من الأشخاص المسموح لهم بالولوج إلى المجمع الملكي، أي طبقة النخبة في هذه الكيانات السياسية. على الرغم من هذا المظهر المنفتح، فإن التمثيلات التي قد تم نصبها في مواضع واضحة من القصور والتلاعب في المسافات وفروق الارتفاع، استُخدمت لتسليط الضوء على المنزلة الخاصة للملك. بدت، في المقابل، القصور بالنسبة لغالبية السكان صروحاً بعيدة المنال ولا يمكن الوصول إليها. يتكرر هذا المفهوم المطبق في إنشاء القصور في عدد من الدويلات السورية - الحثية، مما يدفع للاقتراح بأنه قد تم تطبيق هذا المفهوم أيضاً على صعيد المجتمع، الملكية، والحكم.

تبدو صورة عمارة القصور، خلال فترة السيادة الآشورية للمنطقة، أكثر تبايناً. تم هنا بناء القصور وترتيبها وفق المفاهيم الآشورية السائدة، ومنه ما بني وفقاً للتقاليد المحلية. على أية حال، فإن معظم هذه العمائر، تظهر مزيجاً بين العناصر الآشورية والمحلية. يقود هذا، في المقام الأول، للاستنتاج بأنه لم يكن هناك استراتيجية مركزية متبعة في تمثيل الحكم، خلال فترة حكم الإمبراطورية الآشورية الحديثة، على الأقل لم تكن ظاهرة في بناء القصور في مناطق الولايات، بل على العكس من ذلك، فقد تمتع حكام هذه الولايات بالحرية التامة في تصميم قصورهم وفقاً لرغباتهم. لعل وجود غرفة استقبال واحدة على الأقل، ذات تأثيث خاص، يمثل عنصراً لا يمكن الاستغناء عنه في القصور الآشورية. ويمكن تفسير التباين لبعض العناصر المعمارية المحلية، وما نتج عنه من نمط هجين في العديد من قصور الولايات، بأنه استخدم لاسترضاء أفراد طبقة النخبة المحليين، وذلك من خلال استمرار العمل وفقاً لتقاليدهم. كما في الحالة السابقة، بقيت القصور هنا أيضاً متوضعة ضمن قلاع محصنة ومعزولة، ولا يمكن الوصول إليها من قبل غالبية السكان. شكل وجود الحكم الأجنبي، في هذه الحالة، سبباً إضافياً لهذا التمازج، يضاف إلى طبيعة التسلسل الهرمي للمجتمع.

تم تفسير مبنين فقط على أنهما قصرين خلال فترة الحكم الفارسي لمنطقة المشرق الشمالي. حُصص أحدهما، على الأرجح، لوظيفة تمثيلية فقط، كونه يخلو من أي مساحات للسكن. وربما استخدم القصر الآخر كمقرٍ رفيعٍ لأحد نبلاء الفرس.

مما لا يثير الدهشة، أن هذه القصور قد أُوصِلت رسائل إلى أفراد النخبة المشمولين في حكم الدولة، إضافة إلى السكان الخاضعين لهم. وبالنظر إلى أن هؤلاء السكان

شهدت منطقة المشرق الشمالي (ضمن الإطار الإقليمي لدول سورية ولبنان وتركيا حالياً)، تطورات على الصعيد السياسي. شملت هذه التطورات بدايةً ظهور المدن والدويلات الإقليمية السورية - الحثية المستقلة، ومن ثم ما تبع ذلك من اندماج لهذه الكيانات ضمن إطار الإمبراطوريات العظمى: الآشورية، البابلية، والفارسية.

تهتم الدراسة الحالية بالبحث في إشكالية كيفية تجسيد الحكام لقوتهم في إطار هذه النظم، ذات التركيب السياسي المتباين، وعلى وجه الخصوص، الوسائل التي تمّ من خلالها استعراض هذه القوة متمثلةً في العمارة الملكية وقصور الحكام. يمكن الافتراض منطقياً هنا، وبالاستناد إلى نظريات علم الاجتماع، بأن كل حكومة ذات طابع مؤسساتي، تحتاج إلى اكتساب صفة شرعية، بطريقة تعتمد التواصل من خلال وسائل تعبيرية. يمثل القصر، مكاناً يقيم فيه الحاكم ويستخدمه، في الوقت عينه، كوسيلة لإيصال رسائل تُعبّر عن قوته وشرعيته وذلك نظراً لما يمثله القصر من صرح ذو استمرارية.

يقدم الجزء الأول من الدراسة، مفاهيماً تتعلق بالقوة، الحكم، الشرعية، وكيفية تصوير كل منها. تلي ذلك مناقشة للمنهجية المتبعة، والتي تعتمد على نظريات التواصل غير اللفظي وسميائية العمارة، وذلك بهدف تحليل الأعمال الفنية التي عُثِر عليها داخل السياق المعماري للقصور، إضافة إلى تناول الجوانب الإيقونوغرافية والسميائية لهذه الأعمال.

يحلل القسم الرئيسي من البحث، القصور المعروفة من هذه الحقبة، أي فترة الكيانات الإقليمية السورية - الحثية، فضلاً عن حقبة الإمبراطوريتين الآشورية والفارسية. تتم في كل حالة، مناقشة مواقع هذه القصور - عادةً في إطار سياقها الحضاري، واجهات هذه المباني، التنظيم الداخلي والتركيب الفراغي لكل قصر، إضافة إلى مواقع وتجهيزات الغرف والتي من المفترض أنها كانت قد أدت وظيفة تمثيلية، وخطط وتنظيم الديكور والمواضع الإيقونوغرافية، كالمشوحات، الكسوة الحجرية للجدران (أورتوستات)، والرسوم الجدارية. وتتم في فصل ختامي مناقشة نتائج هذا التحليل على خلفية نظريات علم الاجتماع التي تم التطرق لها في البداية.

تُلَمَّح المعطيات الأثرية والمعمارية إلى الاستراتيجيات التصويرية المتبعة من قبل هؤلاء الحكام، الذين قد عمدوا إلى إيصال رسائل مختلفة موجهة إلى مجموعتين مختلفتين من السكان، طبقة النخبة وعمامة السكان. يمكن في إطار الدويلات السورية - الحثية تحديد ملامح صورة متجانسة نوعاً ما. تتوضع القصور في هذه الحالة ضمن قلاع محصنة ومفصولة عن الجزء المتبقي من المدينة. تتبع في مخططها في معظم الحالات النموذج المثالي المعروف باسم هيلاني، والذي يمتاز بشكل رئيسي بمخطط يتألف من ردهة خارجية مزودة برواقٍ مُعمد، تقع خلفها -على التوازي معها- الغرفة الرئيسية. زينت هذه الواجهات في بعض الحالات بمنحوتات

قد اختبروا علاقة عن بعد مع القصور، وعلى الأغلِب مع ساكني هذه القصور أيضاً، يمكن الاعتقاد بأن الفرصة لم تسنح لهم لرؤية هذه الواجهات المزخرفة، وبالتالي فإن استخدام بناء القصور بهدف الحصول على شرعية معينة لم يكن موجهاً لمجموع السكان. مما يعني أن هذه المجتمعات، قد بلغت من التطور في التسلسل الهرمي وفرض الطابع المؤسساتي على السلطة، درجة لم يعد يشكل فيها عامة السكان مصدر تهديد للحكام. وبالتالي، فقد تم إجبار أفراد طبقة النخبة فقط على الإنعان لحكامهم في معرض تشريع حكمهم. أو ربما تم إظهار شرعية الحكام لعامة السكان بعدة وسائل، كالاحتفالات العامة على سبيل المثال.

ترجمة: سمر شمّاس

Übersetzung: Samar Shammās